



أبو العتاهية

رحلة شعرية من الغزل إلى الزهد والوعظ

أنا أبو إسحاق القاسم بن سويد العيني العنزي، وشهرتي أبو العتاهية. شاعر عربي مكثر، سريع الخاطر، في شعري إبداع، وقد اشتهرت بإجادة القول في الزهد والمديح. ولدت في عين التمر ونشأت فيها ونبتت، وهي قرية بالقرب من الكوفة، ثم انتقلت إلى الكوفة لتبدأ رحلتي مع الشعر.

لقبت بأبي العتاهية، وقد كان لهذا

اللقب قصة طريفة؛ فقد شغفني حب جارية للمهدي عندما قدمت بغداد، وحبست بسببها. وفيما أنا في بغداد، عاصرتني بانني شحيح رغم ما أفاضه علي الخلفاء والوجهاء، ومن عجيب أمري أنني بقيت مع زهدي شديد البخل، دائم الحرص.

أبو العتاهية..

تجربة ناجحة

لشعر مبسط

وصل إلى قلوب

العامّة فتغنوا به

فقد قدمت بغداد في

خلافة المهدي (158 -

169 هـ) الذي عرف

بتعقب الزنادقة، وفيها

أحببت عتبة جاريته،

مؤملاً الوصول

إلى الشهرة والثروة

والغريير بالناس في أمر

مدّهي الفكري، عن طريق حديثي عن

هذا الغرام؛ إذ كان معتقدي موضع شك

وعمز من قبل القدماء، وكذلك بعض

المحدثين، إلا أن عتبة رفضتني رفضاً قاطعاً،

وكان لهذا الرفض بعض الأثر

ذلك من فتون فلا تعدو أن تكون أشعار

مناسبات بما في ذلك المدح الذي لم أتوقف

عن القول فيه، والهجاء والعتاب والرثاء.

وقد كان شعري صورة صادقة لتطور

مراحل حياتي الوجدانية والعقلية، وما يتبع

ذلك من نمو عاطفة وكسب تجربة، وتعمد رغبات، وتشابك علاقات؛ فقد أحببت في مستهل حياتي جارية نائحة على قبور الموتى، هي سعدى، نظمت لها الشعر لتنوح به، وفيه أذكر الموت والتزهد في الدنيا، وهذا النهج الشعري إرصاص وأساس لشعر الوعظ الذي قلته فيما بعد.

أما من الناحية الفنية فقد اتسمت بالليونة والضعف أحياناً، حتى قيل عن غزلي إنه كان ليّناً جداً، ومشاكلاً لكلام النساء، وموافقاً طباعهن، فلا غريب في ألفاظي، ولا تعقيد في عباراتي، بل هناك جنوح نحو السآطة الشديدة، والولع بالمقابلة بين حالتين متضادتين، والموسيقى التي تبوح بإيقاعي النفسي.

كنت أفاخر بانني أستطيع أن أجعل من كلامي شعراً؛ فقد سئلت مرة: أتعرف العروض؟ فأجبت بانني أكبر من العروض! ولي أوزان لا تدخل في العروض مع حسن نظمها.

أما القسم الأكبر من شعري فهو الوعظ والتزهد؛ إذ كنت شاعراً الأهم في العصر العباسي.

وقد لقي شعري هذا الإقبال والاهتمام من العامّة والخاصّة، فكنيت في مواعظي أعتمد على حاجة النفس الإنسانية

إلى مخاطبتها بأمرين، هما: حقائق الحياة الآخرة التي لا تقبل الشك، ثم مقررات الدين والأخلاق.

كنت أحمل رسالة في الحياة ذات هدفين: اجتماعي أخلاقي جوهره الوعظ والتذكير بالموت والتهديب، والآخر فني هو التعبير عن هذه المعاني بأسلوب شعري سمح بعيد عن الغريب، يفهمه العامة فيتغنون به، لذلك كان شعري تجربة ناجحة في الشعر المبسط الذي يقرب المسافة بين الشعر والنثر.

